



تقدير موقف



خلدون محمد

ماذا وراء الجلبة الأمنية
الصهيونية في تركيا؟

ماذا وراء الجلبة الأمنية الصهيونية في تركيا؟

خلدون محمد

على مدى أيام الأسبوع الماضي يقوم الإعلام الصهيوني ببث الإنذارات التي يطلقها كبار السياسيين، بالإضافة إلى أجهزة المؤسسة الأمنية الصهيونية، وهي إنذارات ساخنة جداً حول حدث وشيك تعلن معه حالة طوارئ من الدرجة الأولى، حول تهديد إيراني استخباري محتمل يستهدف محاولة خطف وملاحقة شخصيات صهيونية هامة أو اغتيالها، بالإضافة إلى استهداف جمهور السياح والأفراد "الإسرائيليين" الموجودين في مدينة إستانبول.

ومثل هذه الإنذارات تظال عدة أطراف: "إسرائيل"، تركيا، وإيران، ثم الجمهور الصهيوني، فضلاً عن أطراف أخرى في الإقليم والعالم. وإن مثل هذه الجلبة الأمنية ألّفنا أشباهها على مدة صراعنا الطويل مع العدو الصهيوني، فهي وبالطريقة الدرامية التي يتم تقديمها بها، من النوع الذي ينبؤك بأن هناك طبخة أو أحداثاً يجري التدبير والإعداد لها، أو السعي لترتيب مسرح أحداث في مكان آخر، فقد اعتدنا من السلوك الصهيوني المعادي أنه يعطي تركيزه غرباً، ويكون في حقيقة الأمر مُنصباً - عكسه تماماً - شرقاً!! ولكن في هذه الأجواء الساخنة ما الذي يمكن فهمه واستنباطه من مجمل هذه الجلبة وهذا السلوك في مطلع هذا الصيف شديد السخونة؟ وكيف يمكن تفسير انعكاساته على أطرافه المختلفة؟

أولاً، بالنسبة للجمهور الصهيوني الذي لم يكن قابضاً لهذه الجلبة. فرغم المطالبات الملحة بعودة السياح، لم نجد أحداً منهم يستجيب، لا بل إن برنامج الرحلات السياحية إلى تركيا بقي محافظاً على زخمه، ونقلت القنوات الإخبارية الصهيونية تقاريرها اليومية التي أظهرت عدم اكتراث ولا مبالاة شديدة من قِبَل الأفراد العاديين، وكأن هؤلاء يفهمون ضمناً أن ما يجري هو نوع من مسرحية يراد أن يكونوا أحد أطرافها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يشهد الكيان الصهيوني في الشهور الأخيرة تمارين واستعدادات غير مسبوقة على نطاق محلي وقُطري وإقليمي أيضاً، فقد يكون ما جرى من جلبة أمنية هنا داخلاً في باب التدريبات الممتدة والمتنوعة الأغراض والغايات.

وثانياً، بخصوص تركيا واختيارها "صهيونياً" كمسرح أحداث. فإننا نعتقد أن تركيا (أردوغان - العدالة والتنمية) ورغم تغيير دفة السياسة التركية اتجاه "إسرائيل" غير أنها موضوعة تحت الاختبار "الإسرائيلي"، فإن أصواتاً صهيونية استراتيجية تقول، إن تغيير سياسة أردوغان "الإسرائيلية" شيء جيد، ولكن لا يجعلنا هذا لوحده نركن إليه حتى يتم اختباره وتجربته وتمريه عبر ماكينة الفحص "الإسرائيلي". ونعتبر هنا، هذه الجلبة وما رافقها وصاحبها من اتصالات أمنية وسياسية هي نوع من التأكد، بأن الأتراك غدوا يشتغلون ويتعاونون بما يتلاءم ويتوافق والاعتبارات والمصالح الصهيونية، وهذا السلوك "التوريطي" معروف جيداً لمن خبر

طريقة التفكير الصهيونية. وربما يتطلع ذلك التوريط إلى جر تركيا إلى صيغة من صيغ التحالف الآخذ بالتبلور الذي تقوده "إسرائيل" في مواجهة إيران.

لذلك كان من الملفت للنظر ما نقله مراسل الجزيرة في تركيا بأن وسائل الإعلام التركية هي التي تتداول الجلبة المثارة، في حين أنه لم يصدر أي إعلانات أو تصريحات رسمية من قِبَل مصالح الأمن أو الدبلوماسية التركية، وهذا يعطي انطباعًا بتحفظ الأتراك حول هذه الجلبة، رغم محاولتهم "الإفادة" من نسج علاقاتهم "التطبيعية" التي يريدونها في سبيل غاياتهم الاقتصادية، فاستقبلوا وزير خارجية العدو، كما قام بينت بتقديم شكره لأردوغان على حسن تعامله الأمني، من أجل تثبيت درجة ذلك التعاون وذلك التوريط "إسرائيليًا". أما في حسابات أردوغان فربما يعتقد أنه سحب نقطة إيجابية جديدة في محاولة إعادة بناء علاقات عامة "طيبة" مع شركائه في محاولته استعادة علاقاته السابقة بهم!!

وأما إيران، ثالثًا، وهي موضوع الجلبة فقد صممت لأيام طويلة. ولكن جاءت إعلاناتها في اليومين الأخيرين لتفضح النوايا الصهيونية، فقد أنكرت إيران قيامها بملاحقة أهداف صهيونية على أرض طرف ثالث، كما حذرت إيران من المسعى الصهيوني في تعكير العلاقات الأخوية مع الأتراك (خاصة وأن هناك علاقات مصالح اقتصادية وسياسية عميقة وكبيرة مع تركيا، يُستبعد معها المرء أن تقدم إيران بنشاطات أمنية على الأرض التركية). وأكثر من ذلك، قامت الحكومة الإيرانية في الآن نفسه، بإقالة وزير الاستخبارات في الحرس الثوري، في ما يبعث على تكهنات عديدة في مثل هذه الملابسات، ولا نستبعد هنا أن تكون الاستخبارات الصهيونية قد نجحت في اختراق بنية الاستخبارات الإيرانية وقامت بتدبير وتوجيه ونسج هذه الدراما الأمنية الأخيرة التي جرت أحداثها المفترضة في شوارع وميادين مدينة إستانبول، وهو ما جعل مصالح الأمن والسياسة التركية تبدي نوعًا من التحفظ في التعاطي مع الحكاية.

ورابعًا، فقد يتساءل المرء: وما الذي تريده "إسرائيل" من هذه الجلبة؟ طبعًا، تشهد هذه اللحظة تشابكات وتداخلات كثيرة، سواء ما له علاقة بالحرب السرية الضارية الجارية بين الكيان الصهيوني وإيران، أو ما له علاقة بتقويض البرنامج النووي الإيراني، وسد الطرق أمام أي عودة مرتقبة إلى الاتفاق النووي بين إيران والغرب، أو ما له علاقة ببناء الحلف الآخذ بالتبلور الذي تقوده "إسرائيل" في الشرق الأوسط والعالم، لمواجهة إيران، وربما لخوض الحرب ضدها. هذا فضلًا عن تداعيات الحرب في أوكرانيا على المشهد شرق الأوسطي.

وبعيدًا عن هذه الشبكة العلائقية، فمن طبيعة الحدث "الشرق الأوسطي" أن يكون علائقيًا ومتعدّيًا بالضرورة. ولكن ما نعتقد أن "إسرائيل" تسير نحو حرب مباشرة مع إيران، وكل الدلائل والمؤشرات والتحضيرات والاستعدادات توحى بذلك، وحتى مع حل الحكومة الحالية فقد أوكلت أمور الحرب إلى وزير دفاعهم "غانتس" وحُوّل بذلك. وما رأيناه في الجلبة الأمنية التي جرت على الأرض التركية، والتي أعلن العدو أن فصولها لم تنته بعد، يذكرنا بالشهور التي سبقت حرب اجتياح بيروت عام 1982، فمنذ توقيع الهدنة بين تموز 1981 ووقوع الحرب في حزيران 1982، كانت الخطط والسناريوهات للحرب القادمة مُعدة، ومعلومة ومعروفة لدى استخبارات العديد من الدول ودبلوماسيها وسياسيها، كما تُظهر ذلك وبجلاء الكتب الكثيرة التي وثقت لتلك الحرب. وكانت أيام الشهور إياها، مليئة بالتهديدات والإنذارات والتحذيرات، حتى إذا ما جاء حادث محاولة اغتيال السفير الصهيوني في

لندن الذي أصيب في الحادث، وقيل إن "جماعة أبو نضال" هي من قامت به، فإذا "إسرائيل" تتخذة الذريعة والسبب لشن الحرب الذي لم يكن يبق لحدوثها سوى وقوعه، وما يمكن أن نتكهن به هنا، هو أمر شبيه مع اختلاف الظروف والملابسات، ولكن يمكن أن تبني "إسرائيل" على حدث درامي كبير، يُعد له بشكل جيد على الأرض التركية، وربما على غيرها، لاتخاذها الذريعة المادية المباشرة للبدء في الهجوم. والله أعلم.